التفكير بين النقدي والإبداعي

(دراسة جمالية نفسية)

علي مهدي ماجد

كلية الفنون الجميلة–جامعة بابل

الفصل الاول

مشكلة البحث واهميته والحاجة اليه

يزخر الفكر الجمالي والنفسي, بدراسات مكثفه حول طبيعة الابداع والتذوق والتلقي...وبازدياد هذه الدراسات يزداد تنوع الاداء وتتعمق المشكله ,حتى تظهر عملية الابداع معقده وغير متجانسة. وليس للباحث هنا الخوض في عموم تلك الدراسات , ولكن بالقدر الذي يلقي الضوء على منطقة معتمه تتعلق بالمنطلق المعرفي للمبدع (الفنان) والمتلقي (الناقد). مع التركيز على الدراسات النفسية.

يعد الاتجاه المعرفي في تفسير السلوك , الاكثر ملائمة وفهما لكثير من اساليب النشاط التي يمارسها الانسان, مما يجعل علم النفس المعرفي في موضع الاهمية بين علماء النفس والمشتغلين بالدراسات السلوكيه, كما لايمكن اغفال الاساس المتين لمبحث المعرفه في الفلسفة –الفلسفة الحديثة خصوصا–كمنطلق للبحث في المباحث الاخرى ومنها مبحث القيمه الذي يشغل علم الجمال حيزا كبيرا منه.

يتسع علم الجمال لتفسير طبيعة الفن وطبيعة التذوق الجمالي والخلق الفني وتمثل النظريه الفنيه بالنسبة لفلسفة الجمال وماتمثله النظرية العلمية بالنسبة لفلسفة العلوم , فالصلة وثيقة بين مجالي الجماليه والفنون ومن ثم يمكن ان نعد تاريخ الفن بمثابة تاريخ الوعي الجمالي عند الانسان(10 ص 187), ومن ناحية اخرى فان (الفن لايعترض وجود الوان النشاط العقلي الاخرى بل العكس , فان الوان النشاط العقلي على مختلف صورها تحتاج الى الصيغ الفنيه لكي تظهر وتشبع(3–ص144).

والنقد كنشاط معرفي وفني, فان اهميته تكمن كما يرى (ارنولد) في (خلق قيم حقيقية تسود المجتمع البشري وتمهد لخلق قيم افضل تستطيع التمييز بين الغش فتطرد القيم الزائفة وتبقى على القيم الاصلية النافعة وذلك عن طريق الجهد الدائب المنزه من الغرض الذي يهدف الى تعلم ونشر افضل ماعرفته الانسانية وفاضت بها خواطرها)(4 ص3) .

وما بين الذاتيه و الموضوعية تتشكل معرفية تفرض نمط وشكل وطبيعية الابداع كانتاج او ذائقه نقديه, فيرى (ديوي):(ان الخطر الذي يهدد الناقد , هو ان يسير على هدى ميله الشخصي او على ضوء العرف السائد المتميز , فيتخذ من احدى الطرق معيارا له في الحكم ويستهجن كل انحراف عنها بوصفه خروجا عن الفن نفسه(9ص238)ويحدد(كانت) قدرة العقل, فيرى: (ان النقد ليس نقد الكتب والمذاهب بل نقد قدره العقل بوجه عام بالنسبه لجميع المعارف التي يمكن ان يرقى اليها مستقلا من كل تجربه) (20 ص6–7).

ان نمط التفكير النقدي قد ارتكز لدى البعض , وفق المعطى الموضوعي وافترض قدرة عقلية قائمه على التفسير والتقويم , فظهر (تين) في القرن العشرين(فوجه اهتمامه نحو وظيفة التفسير والتحليل في عملية النقد الادبي)(20 ص144) وان الاحكام الجماليه دون تعليل لاتدخل بحال في نطاق النقد , حتى يستقر النقد في النهاية في اطار منطقي متناسق. تتثبت بالادلة والاستدلال .

ان تمكن الناقد من علم الجمال وسعيه لجعل التجربة الجماليه افضل عن طريق جعله الادراك الجمالي اقدر على التمييز, فان هذا بالقابل لا يفترض الاقتصار على الموضوعية على الدوام , من حيث ان العمل الفني ينطوي على كوامن تحاور اعماق النفس الانسانية وتفترض بنيه شكليه غير تقليديه, وهذا ما يقرب او يباعد الفجوة بين الفنان والناقد ويلقي على التفكير مسالك غير معهودة. ان معطيات التفكر في حالة الخلق الابداعي او العمل النقدي , من السعه قد لايستمد معرفيته من انماط تقليديه معهودة في التفكير اليومي او الذي تتطلبه تخصصات اخرى. فمداخلة الحس والعقل والاخيلة والحدس والاثار الوجدانية, ما يجعل توصيف هذا التفكير اشكاليه بحد ذاته من هذا يمكن تحديد مشكلة البحث بالاجابة على :

الى اي مدى تختلف انماط التفكير بين الفنان المبدع والناقد؟

وبالاجابة على هذا السؤال تبرز اهمية البحث في حل هذه الاشكالية المعرفيه والجمالية ومعرفة العوامل المؤثره في هذا التفكير , بما يحتم الحاجه لهذا البحث الذي يمكن ان يمد الدراسات الجماليه والفنية برافد جديد.

هدف البحث

يهدف البحث تعرف طبيعة التفكير النقدي والابداعي في مجال الفن .الرسم خاصة

تحديد المصطلحات

التفكير (Thinking)

عرفه (جون لوك) بانه تجربة باطنة واقعة على احوالنا النفسية. اي الشعور, ويؤثر(لوك) لفظ تفكير على لفظ شعور(19ص59) .

ويرى (ابن سينا) ان الفكر ما ينتقل به من امور حاضره في الذهن الى امور غير حاضره. وهذا الانتقال لايخلو من ترتيب, وهو عند (كانت) قوة نقدية للاحكام . والفكر الترنسندنتالي, هو الفعل الذي يربط الظواهر بقوتي المعرفه , الفهم , الحدس الحسي (19ص162) .

وبالاستفادة من هذه التعريفات , يعرف الباحث التفكير اجرائيا بما يتناسب وموضوع بحثه كالاتي :

التفكير تجربة فردية لا نمطية يجري في الشعور ويسهم في تنامي الفكر ويسفر عن حقائق وصور جديدة تعين الناقد والفنان في بحثه الجمالي .

الفصل الثاني

الاطار النظري

التفكير النقدي

ان مايرتبط بالاتجاه المعرفي في الاتجاهات الحديثه في مجال علم النفس مايسمى (علوم المعلومات) وهي تتضمن فروع تبدو مختلفة ومتباينة تعد اتجاها اساسيا في تفسير السلوك وهو يضم الادراك والتذكر والتفكير وحل المشكلات وتكوين المفاهيم والمدركات وغيرها .

ويقترح العالم الامريكي (جيلفورد) في نظريته التي تدعى (النظرية العاملية), نموذج في تكوين العقل بالنسبة للعمليات العقليه, فيشير الى وجود مجموعه صغيره تتضمن قدرات التفكير, وهذه تقسم الى ثلاثة اقسام هي القدرات المعرفيه والقدرات الانتاجية والقدرات التقويميه, وتتعلق القدرات المعرفية باكتشاف المعلومات او اعادة اكتشافها او التعرف عليها . اما قدرات الانتاج فيقصد بها استخدام المعلومات المتاحة لانتاج معلومات جديدة. اما قدرات التقويم فتتعلق بتحديد ما اذا كانت هذه المعلومات التي نعرفها او ننتجها مناسبة او

صالحه او غير صالحه او تتفق مع اي محك من محكات الحكم (2ص31). وتعد قدرات التقويم لدى(جيلفورد) معنيه بالتفكير الناقد وهي ممثله في البحث الحالي بالقدرة على الاستنتاج وتقويم الحجج والاستنباط ومعرفة الافتراضات والتفسير, ويميز (جيلفورد) على اساس التحليل العاملي خمسة انواع من العمليات العقليه, هي المعرفه والتذكر والانتاج التقاربي (التفكير المحرر) والانتاج الابداعي (التفكير المنطلق), والتقويم وتدار هذه العمليات من خلال محتوى (الاشكال والرموز والمعاني والسلوك) وتمثل هذه المحتويات مختلف انواع المعلومات التي تؤدي الى انتاج ما. وهذه النتاجات تتدرج في ستة انواع (الوحدات, الفئات, العلاقات, النظم او الانساق, التحويلات, التقسيمات)(6 ص50). ويعد التفكير من وجهة نظر (جليفورد) عمليه موحده او وحده متشابكة من العمليات, وترتبط كل من عملية التفكير او الانتاج الابداعي والمنطلق يعد من اكثر مجموعة العوامل اهمية, ويتضمن توليد معلومات جديدة من معلومات معطاة) وعملية التفكير التقاربي – يمتاز بقلة البحث وقلة الانتاج– ترتبطان بعلاقة وثيقة بالذاكرة, ومع التفكير التقويمي (التقويم النقدي) (6ص66).

ويشير (رسل Russel) الى ان مفهوم التفكير يتضمن ثلاث صور اساسيه للتفكير المنتج تتمثل بالاتي:

1-اسلوب حل المشكلهProblem Solving

2- التفكير النقدي Critical Thinking

3- التفكير الابتكاري Creative Thinking

وتشير (الغريب) الى اختلاف التفكير عن الاداء العملي الملموس في انه بكون محكوما بالتمثيل الرمزي المجرد للاشياء, مع استخدام القواعد والعلاقات المرتبطة بتلك الاشياء (13ص292-293) ويرى عدد من المؤلفين الى ان كلمة (تفكير) تمتاز بعدم التحديد الدقيق سواء في الحياة اليومية او في لغة علم النفس , فقد تشير الى كثير من انماط السلوك المختلفة وعلى انواع عديدة من المواقف , ويمكن القول ان التفكير يحدث في اي موقف لاتتوفر فيه ظروفه الخارجية المثيرات والدلالات المرتبطة بالاستجابة الصحيحة المطلوبة, وانما يقوم الكائن العضوي ذاته بتجهيزها , وبالطبع يصدق هذا التعريف على سلوك الانسان ابتداءا من حل مسالة حسابية الى كتابه قصيدة من الشعر (2ص28) .

والتفكير النقدي بوصفه نمطا من انماط التفكير المتعددة, يشير(سكنر) الى ان هذا النمط من التفكير يصعب تحديد مفهومه بشكل واضح ومحدد(27ص296) .

فرغم توفر عدد من التعاريف حول التفكر النقدي, الا انها تستخدم بمعان متعددة وغامضة لدى بعض الباحثين (26ص162) وانه لايتضمن الخصائص المنطقيه من القدرات العقليه فقط دائما هو ايضا يتضمن بعض خصائص الشخصيه والميول والاتجاهات , ومنها اتجاهات التساؤل والتقصي والميل للمعرفة العقلية المتفتحة والامانة العلميه (29ص291) وهناك من يرى ان التفكير النقدي يمثل احد العمليات العقليه التي يشتمل عليها التنظيم العقلي المعرفي والتي تعتمد الى حد كبيرعلى قدرة الفرد العقليه التي يشتمل عليها التنظيم العقلي المعرفي والتي تعتمدالى حد كبير على قدرة الفرد العقليه (15ص 24). ويرى (فيلي feely)الى ان هناك ثلاث مجموعات من التعاريف للتفكير النقدي, فالمجموعة الاولى ترى في هذا التفكير, كاي نشاط عقلي اعلى من الاستيعاب في تصنيف (بلوم) للاهداف, فيما ترى المجموعه الثانيه بما يكافئ التفكير التاملي كما عرفه (ديوي) وهذا مايتسم بالشمولية, فالتفكير عند(ديوي) يقترن بمدى واسع من الانشطة الفكرية, والمجموعة الثالثه تصف التفكير النقدي بانه نوع من الحكم في القضايا وهنا بهذا المعنى يكون التفكير اقرب الى مرحلة

التقويم في تصنيف (بلوم)(25 ص2-3) . ويعده (اشنر ashnar) عملية تقويم بالرغم من اطلاق تسمية النقد عليه , الا انها عرفت النقد على انه تقييم يعبر عنه لفظيا (22 ص 317) ويصل (ابو حطب) الى استنتاج من التفكير يقترن بالطبيعة التقويميه والتي يعدها عملية معياريه تحمل خصائص التفكير النقدي (2ص97). وبهذا يحمل التفكير النقدي خصائص القدرات التقويميه والتي يعرفها (جيلفورد) بانها قدرات تحدد مدى ملائمة ومناسبة المعلومات التي تتوفر في الاختبار ونقدها والتعرف عما اذا كانت صحيحة او غير صحيحة (16 ص187-188) في حين هناك من يقرن التفكير النقدي بعملية حل المشكلات, فيرى (glasser) و(watson) على انه مركب من اتجاهات التقصي ممثله بالقدرة على تعرف ابعاد المشكلة والمهارة في استخدام وتطبيق الاتجاهات والمعارف السابقه (28ص10) ويصل (سكنر) بعد تحليله واستعراضه لتعاريف مفهوم التفكير النقدي بانه يقترب من خاصية حل المشكلات (27ص293) وعند اقتراب مفهوم التفكير النقدي من عملية حل المشكلات فان ذلك لايتطلب اعتماد خطوات حل المشكلات اذ سينتهي الموقف المشكل باجابة نعم او لا او بدرجة من الاحتمال على الرد على سؤال ومناقشه موضوع ما والقدرة على التعرف على التقويم والتفسير الصحيح والعلاقات والاحداث والمواقف, فيحين هناك من يعتقد بان التساؤل والتقصي يدفع الفرد الى ان يعايش المشكله حتى يبحث عن حل لها (24ص73) ,كما يرى (Dreesel)ان الذين يفكرون بشكل نقدي لابد ان يمتلكوا ثقة بانفسهم وبقدراتهم على حل المشكله فضلا عن كونهم حذرين وغير مندفعين في احكامهم (24ص46).

ويشير (reutz) الى ان مهارت التفسير والتقويم وتمييز العلاقات السببية وتعرف الاتجاهات واستخدام مصادر المعلومات كلها من قدرات التفكير النقدي التي يمكن ان تتحقق عن طريق التدريس الهادف القائم على اساس المناقشه , ويشير الى الكثيرون يطلق على التعليل الذي يولد الحكم القيم عبارة (التفكير النقدي الذي هو هدف من اهداف التربيه يقره الجميع ..) (23ص368) .ان التفكير النقدي كما يراه (صالح)من الضروري ان يتضمن توافر مجموعة اساسيه من العناصر والمكونات تتمثل بالاتي :

1. مجموعة من الوقائع او المشاهدات بازاء موضوع خارجي سواء كان فردا او حادثه او موقفا ما .
2. توخي الدقه في جميع الحقائق والبيانات كأن يكون الاعتماد فيها على اكثر من مصدر.
3. التقيد باطار مرجعي في المناقشه والموازنة.
4. ان تجري موازنة عناصر الموقف بعيدا عن التحيز والاراء السابقه والمعتقدات .
5. يتم تقويم الموضوع داخل اطاره الخاص .

ويرى (ابو حطب) الى (ان مرحلة الحكم تحتاج ممارسة نوع هادى من النقد وان هذا النقد يمكن اكتسابه وتحسينه باستمرار , والواقع ان التفكير الناقد بصفه عامه يعد هدفا من الاهداف التربويه الهامة في العصر الحديث وقد حاول الكثير من التربويين ان يبتكروا وسائل لتحسين هذه المهارة) (2ص227) .

ولكي تتسم تنمية التفكير النقدي لدى الفرد ازاء المواقف والمشكلات والقضايا التي تواجهه فان هناك عوامل تؤثر سلبيا في نمو هذا التفكير تتمثل بالاتي:

1. الانصياع للاراء التواترية وتظهر في تقبل الفرد للاراء الشائعة بين الناس وتقبلها دون نقد او مناقشة وعدم الرجوع الى مصادرها الحقيقية, اذ ان هذا العامل لا يمنح الفرد خصوصية واستقلاليه التفكير, وان يبقى في دائرة ما يسمعه ويلقاه (14ص370).

2. التعصب : ويظهر في تقييد الفرد وتمسكه بصحة اراء معينه قبل ان تعرض عليه بيانات او وقائع , ومن خلال الحكم على موضوع معين من وجهة نظر مسبقة تحددها اعتقادات الفرد من خلال نشاته الاجتماعية وخبراته الذاتيه .
3. سيطرة الانفعالات والعواطف على تفكير الفرد وازاء القضايا والمعلومات والمشكلات اثناء عملية النقد.
4. القفز على النتائج ويظهر في عدم التسلسل الموضوعي في معالجة الموضوعات والوصول الى نتائج غير مبنيه على ادله وشواهد كافيه دون ان ناخذ السياقات الموضوعيه السلبيه (8ص489-490) .ويرتبط التفكير النقدي بالتفكير الابداعي حيث ان (الطلاقة تلعب دورا متوسطا في التفكير النقدي, وفي حالة الطلاقه اللفظيه فان الفكر يحتاج الى حد مناسب كي يفكر ناقدا. كما ان التفكير النقدي يحتاج الى قدر مناسب من الطلاقة الفكرية وربما يكون مصدر ذلك ان الناقد في تامله للمعلومات التي يطلق عليها احكامه (1ص3) . كما ان من العوامل التي لها تاثيرها على الفكر النقدي والتي تتصل بالفرد كالعمر والذكاء والظروف الاقتصادية والاجتماعية والتحصيل العلمي (21ص34-70) ويرتبط التفكير النقدي ارتباطا موجها بالتحصيل الدراسي فيما لم تجمع الدراسات على وجود علاقة بين التفكير النقدي وبين نوع معين من التخصصات العلميه والانسانية (17ص253) .ان الاراء والدراسات السابقه الذكر, وان رسمت خطوطا للتفكير النقدي, الا ان الباحث يرى, انها امعنت الى حد كبير بالمنظور التربوي والنفسي ولم تمعن بالذائقه الجماليه, فحيدت الى حد بعيد ماتلقيه الذات من اثر على الموضوع, فالتعبير عن الانبهار والدهشة ازاء عمل فني معين لاينطوي بالضرورة على مشكلة يتطلب حلها فاللون في عمل الى (كاندنسكي) مثلا, لايقوم او ينقد على اساس ماهو معروض ماديا. فتتاح لكل ناقد, بل ان ثمة حقائق كامنة (الضرورة الداخليه) لايمكن ان تتكتشف لناقد دون ان يستحضر قدرته المعرفيه على استبصار ماتحمل من طاقه وجدانيه كامنة تناشد ماهو مطلق على حساب ماهو نسبي, وعلى هذا الاساس تنوعت اشكال النقد تبعا لتنوع المنطلقات المعرفيه وانماط التفكير, فالنقد النفسي والانطباعي مثلا , يلقي على التفكير نمطا معينا يختلف في خطاه عن النقد التحليلي او البنيوي .

التفكير الابداعي

اهتم العلماء والباحثون كثيرا بخصائص وسمات المبدعين واعمالهم ,وظلت الخصيصة المعرفيه للمبدع اثناء ابداعه مبهمة او مختلف فيها . ان التقصي فيما يحدث عندما يفكر الانسان ابداعيا في انتاج عمل ما, يتطلب دراسة مجمل العمليات النفسيه الخاصة بالادراك والتفكير والتخيل ...وهذا ما يشكل منطلقا يطوي بظله كل المعلومات التي يمكن ان نستدل عليها في التعرف على سمات خصائص وانتاج المبدع ومن حيث ان الابداع في اساسه عمليه او نشاط انساني يتسم بالوعي .

ابتداء , يتفق اغلب الباحثين مع (كرتشفيلد) في تحديد خصائص العلميه الابداعية الذي يذكر فيها :

1. ان العمليه الابداعية ليست شيئا غامضا, او غير خاضع للتحليل بالضرورة, انها مثل أي عمليه سيكولوجيه تخضع للبحث والتحليل العلمي .
2. ان العمليه الابداعية, مصطلح متفق عليه لمجموعة معقده من العمليات المعرفيه والدافعية داخل الفرد, عمليات تشتمل على الادراك والتذكر والتفكير الى ... الخ.

3. توجد لدى كل الافراد عمليات معرفيه ومزاجيه ودافعيه . ولكن هذا لايعني ان كل فرد مبدع متميز بالضرورة, فلدى البعض تبلغ هذه العمليه نضجها او ذروتها , وتهبط لدى افراد نتيجة عمليات شخصيه واجتماعيه كثيرة كالاعاقة والتشتت والانشغال وعدم الاهتمام...الخ.
4. ان العمليه الابداعية تمثل الاختلاف بطريقه واضحة في الاشكال المختلفة من العمليات الابداعية, هذا رغم ميلها الى التشابه في بعض النواحي ايضا(12ص12).

مما تقدم,يتفق الباحث مع (كرتشفيلد) على ضرورة تاسيس الفرد معرفيا وجماليا لذاته بما يصلنا الى نقطه جوهريه تؤكد حتمية واهمية الخبره والتجربة وما ينتج عنها من مهارة لازمة للاداء, تكون الخامة الاولى التي تدعم التفكير المبدع , وبهذا يذكر (فان كوخ) بقوله(انه لايكفي ان تكون لدى الفنان مهارة معينه, انه التمعن في الاشياء لوقت طويل هو ما ينضجه ويمنحه الفهم الاعمق.) (12ص13) فمعرفية الفنان الفطري لم تكن في حقيقتها معرفة طارئة دون تنمية للتفكير الابداعي وتوجيه النشاط لتحقيق غايته ويكون الفن هو المحصله لتطلع الذات وكوامنها .

اختلف المفكرون والباحثون في لحظة الابداع عند ممارسة الفنان لعلمية الابداع, فالبعض يرى انها عملي تلقائية لا ارادية, والفريق الاخر يرى في هذه العمليه على انها فعل ارادي موجه.

ان الرأي القائل بالفعل التلقائي, انما يرتبط في الغالب بفكرة الالهام التي ارساها (افلاطون) وعززتها المدرسه الرومانسيه على الخصوص. والالهام في حقيقته هو فكرة فجائية تهبها ربات الفنون للمبدع. وقد ارتبط الالهام منذ الفلسفة الحديثه بمفهوم الحدس من حيث البزوغ المباشر للفكرة دون المرور بالاستدلال او ايجاد البراهين عليها, الى ان الكثير من المفكرين ومنهم (برجسون) و(وكورتشه) اكدوا ان الحدس لا ياتي الا من خلال جهد معرفي مضني وتفكير مسبق وهو لايلغي مجمل الخبرات السابقه للفرد[1] على هذا الاساس تتنوع اشكال الحدس طبقا للظواهر, والحدس العقلي خلاصة العقل في الانتقال المباشر للفكرة من المقدمات الى النتائج, او هو بداهة العقل في معرفة الحقائق المتمايزة الواضحة –كما يرى ديكارت– اما الحدس الخالص, فيمثل تنبه النفس للحقائق التي في الحس او العقل, فيكون للحدس صورته المعرفيه الخالصة بعيدا عن المادة. وهذا مايجعل من الرسم التجريدي فنا حدسيا كونه لايتمثل للمعطيات الحسيه المرئية ويبقى على الصوره الذهنيه الخالصة والمطلقة. وبالنتيجة فان الوعي والتفكير المجرد هو اعمق من التفكير النسبي (الواقعي) لاعتماده على الحدس .

وفي تاكيد الجانب الشعوري في الحدس. يرى (ديبلي) : (ان الحدس نتبين به اثار التفكير الشعوري, لانه حدس مشيد على التجربة, ياتينا بعد ان نبذل الجهد الهائل في سبيل الحصول على الحق وينتابنا التعب دون ان نصل الى ما يعنينا فنترك امر هذه المشكله, وبعد فترة ما, نفاجأ بالحل يبزغ في ذهننا, فيبزغ المضمون في الذهن ككل, لاجزء بعد جزء.)(7ص192).

ان عملية التفكير ومجرياتها في العقل او الذهن او الفكر, انما تنطوي تحتها مجمل العمليات الارادية والتلقائية. ففي الوقت الذي يشير التعقل الى عملية التفكير والتمحيص , فهو ايضا يشير الى اعمال الفكر والفهم. وبذلك فان التفكير قائم بقدر في عملية الابداع .لذا يعرف (يونج)(بانه التفكير الموجه في مقابل القدره على التفكير السلبي او غير الموجه الذي يدعوه بديهة او حدسا)(5ص263).

---

[1] للمزيد ينظر : اطروحة الباحث الموسومة (الحدس وتطبيقاته في الرسم الحديث) كلية التربية الفنيه/جامعة بابل

ان الفكرة خبرة عقليه في عمل الذهن, وليست مجرد ادراك او انطباع حسي, وان كانت الفكره كثيرا ماتلبس صوره حسية, فالفكرة قريبه من الصوره الذهنيه ولكنها لاتعني مجرد استدعاء او تذكر لصورة بسيطة الى الذهن بل هي اكثر تعقيدا وتجريدا في سلسلة التفكير . اننا في عملية الادراك الحسي ندخل المحسوس – بمعنى ما– الى ادراكنا اما في التعقل او التفكر فقد نفكر في موضوع دون حضوره في الحواس اثناء التفكير فتكون العمليه تفكيرا ذهنيا او تصورا ذهنيا ... وتختلف الافكار في وضوحها في الشعور او اختفائها في غير الشعور , كما تختلف فيما تحويه من الطاقة او الشحنه الوجدانيه وترى مدرسة التحليل النفسي ان لكل من الفكره وما تحويه من شحنه وجدانيه كيانا مستقلا بحيث يمكن ان تنفصل كل منها عن الاخرى .ويرى (فرويد) ان وضع الفكره في قالب لفظي ضروري لخروجها الى حيز الشعور (5ص245).

ان حال الابداع على اساس من التفكير لم يحدد الفنان بحيز المعطى الحسي , بل يضفي عليه التامل ما يجعل الفنان يحور ويعدل في الطبيعة او يجردها تجريدا تاما. ولم يعد تنظيم العناصر وبنائيه اللوحه قائم على اساس فزياوي محض لان التأمل –هو احد وظائف الفكره وهو فضل التفكير –جدير باستحداث فكره كليه وانتهى الفكر من تشكيلها.

في اتجاه آخر ينفي على الابداع صفة التلقائية اللاشعورية. تقدم نظريه الاطار طروحاتها في حيز شعوري منظم. ولاتلغي بالمقابل خبرة الفرد وتجاربه السابقه بالقدر الذي يمد لحظه الابداع بزمن الماضي والحاضر .فتاريخ الفرد ليس مجرد اكوام مكدسه من اثار التجارب السابقه , بل هو كل منظم يسهم في تنظيم وتوجيه الخطوات القادمة. وهكذا يتحرك الفرد في اي اتجاه يبغيه ضمن اطار متكامل, كأن يكون علميا او فنيا او غيره. فيكون الادراك فعلا منظما ولا يقتصر على التلقى لما يصادفنا , وبهذا فان الادراك يكون ديناميا مرنا والاطار الاستيقي –الذي نحن بصدده– يعد الاساس الدينامي للذوق, ومن هذا الاطار الاستاطيقي تتكون اطر فرعيه يمكن على اساسها ادراك سبب التنوع في الفنون وتنوع الاتجاهات والحركات في الفن الواحد. فـ(كوكان) مثلا يمتلك اطارا منظما يختلف في حيثياته وتفاصيله عن الاطار المنظم لـ(موندريان) ولكن كلاهما يعملان ضمن اطار اكبر هو الاطار الاستيطيقي التصويري. وفق هذه الاطر ايضا , تنظم توجهات الفرد نحو الاطار الذي يجعل منه مبدعا او ناقدا تبعا لعوامل نفسيه وثقافيه واجتماعيه ...الخ فتكون العلاقة قائمة اصلا على علاقة دينامية مع هذه العوامل وليست معرفيه. والذات المبدعه تمارس نشاطها بعيدا عن بؤرة الشعور ولا يظهر في هذه البؤره سوى نتائجها (7ص184).

يتضح مما تقدم, ان ثمة منطقه يعمل عليها المبدع سواء كان في نظرية الاطار اوفي الحدس, وكلاهما لايلغي على اي حال دور الشعور والخبرة السابقه .فيذوب التعارض المزعوم بين الحدس, كون الحدس لايظهر الا كفكره او صوره منظمه . كما ان الاطار لا يلغي من (ان فعل الادراك يتجه مباشره دون ما معرفة بالاساس الدينامي الذي يعين هذا الاتجاه(7ص164) –وهذا يشبه حدس البديهة عند(ديكارت)– اي ان الفنان حين الابداع لم يفكر في محتوى الاطار او ينظمه بوعي, انما هو فعل موجه كامن يعبر عنه مباشره ضمن حيز مجالنا النفسي.

اما (جيلفورد) في تحليله العاملي, فيمكن تصميم نتائجه على ظاهرة الابداع في الفن او التفكير الابداعي وتفسير الجانب العقلي . والعوامل التي افترضها في الابداع هي:

1. الحساسية للمشكلات: وهو ميل الفرد للكشف عن المشكلات في موقف معين .
2. اعادة التنظيم : ويعني استثمار فكرة او صوره في تنظيم موقف جديد.

3. الطلاقة: وتشير الى قدرة الفرد على انتاج افكار قيمة في وحده زمنية محدده.
4. المرونة: وهي اشارة الى درجة السهولة في تغيير الفرد لحالة نفسيه او جهة عقليه معينة.
5. الاصالة: وهي القدره على ابتكار افكار او صور طريفة كعنصر رئيسي في التفكير المبدع.
6. قدرات تحليله وتأليفية: وهي تفتيت مركبات معقده الى وحدات ابسط.
7. مقدار التركيب في البناء التصويري : وهو السعي لتفسير درجة التركيب او التعقد في البناء التصويري التي يمكن ان يحتفظ بها المبدع في ذهنه فيستثمرها عند حل المشكله.
8. التقييم : والعلم بانتخاب وتقييم المبدع للمنهج او المشكله في ضوء الامكانيات والمهارات المتاحة (7ص352).

من الملاحظ ان هذه العوامل لاتحدد بالضبط العمليه ابداعه في مجال الفنون فمستوى التفكير وطبيعته تتلائم مع الابداع في مجال العلم والاختراع , فالتفكير الابداعي يبدو اكثر تنوع ومرونة بالقدر الذي يمكن ان لا يبقى على المشكله التي انطلق منها او نتج مشاكل تعد خرقا في الرؤية التقليدية على اصعدة مختلفة مثل الاسلوب والتكنيك او المضمون القابع خلف الشكل. لذا فان عوامل الاصالة والطلاقة والمرونة هي الاجدى في وصف طبيعة التفكير الابداعي للفن, ففي الطلاقه بانواعها (الطلاقه اللفظيه, وطلاقة التداعي, وطلاقة الافكار) ومايقيم الصلة في بعض الوجوه مع طبيعة الحدس ,من حيث ان الطلاقه تعرف بانها (القدره على ابداع او ابتكار تكوينات منوعه في زمن محدد) (18ص39) خصوصا وان (جيلفورد) قد اضاف نوعا رابعا للطلاقة وهي الطلاقه التعبيريه ,تعتمد على التفكير السريع ,كما يصفها .اما المرونة ,فيعد التغير هو فعلها الجوهري .فينتج للمبدع تغيير الزاوية الذهنيه التي ينظر منها الى حل مشكله محدده, الامر الذي يعزز التفكير التلقائي المسؤول عن بزوغ عدة افكار في موقف حر قد يرتبط بقدر ما بالسمة المزاجيه للمبدع وهذا ما يتضح عند تناول الخمور والمخدرات التي تزيد من المرونة التلقائية .

لقد غض (جيلفورد) النظر –وسائر التجريبيون– عن مستويات التفكير التي تجري في اللاشعور او ما تحت الشعور , فيشير الى ان الاعتقاد بان عملية التخمر تتم في منطقه من الذهن تسمى اللاشعور ,فان ذلك لن يفيدنا في التقدم في بحوثنا .ان مفهوم التخمر يشير الى معنيين:

الاول : ان المبدع بعد ان يمر بفترة من التفكير العنيف للوصول الى حل المشكله .يمر بعدها بمرحله يبدو خلالها انه لم يعد يفكر بالمشكلة.

الثاني : على الرغم مما يبدو من ان المبدع لايفكر تفكيرا لاشعوريا يتخذ مجراه يتقدم فيما بعد الى الشعور وقد حصل على حل للمشكلة, وهذا الثاني هو ما تجاوزه (جيلفورد).

ويرى (روجرRuger) ان التخلي عن التفكير في مسألة معينه وسيله للتخلص من زاوية ذهنيه او من توجه ذهني زائف وبالتالي يعطي الفرصه للتوجه الصائب ان يحتل مكانه .(7ص371).

لم تغفل الدراسات النفسيه الحديثه موضوع الابداع والجماليات, وان اتخذت منحى تجريبي. فما يسمى باتجاه الجماليات التجريبية, ركز على الخصائص الخارجية المميزة للمثير الجمالي, ثم حول الاهتمام الى القضايا المعرفية ذات الصلة بالادراك للمثير الجمالي ومعالجته معرفيا. الامر الذي حفز لظهور علم النفس المعرفي, خصوصا ما استخدام فيه مما اطلق عليه (المخططات المعرفيه) ومايرتبط به من مفاهيم في عديد من الدراسات الجماليه الحديثه والتي اجريت من منطلق معرفي. والمخططات هي اطر تصويرية موجودة مسبقا .

اوهي صور او استعدادات معرفية يتمكن المرء من الاستجابة بطريقه متميزة وعليه فان للمخيلة ومدخرات الذاكره مايعين على توجيه التفكير الجمالي على نحو مجرد.

انتقد عالم النفس المعاصر (كولن مارتنديل), نظرية الاستثارة العصبية, خاصة فيما يتعلق بالعلاقة التي تحدث في المخ بين جهد الاستثارة والمتع الجمالية. فقدم نظريه معرفيه تقوم على اساس الاهمية المركزيه للمعنى الخاص بالعمل الفني, مؤكدا عدم امكان الاقتصار على الشكل في تحديد المتعه الجماليه التي يصفها بانها متعه لا غائية خالصة ويميزها معرفيا بانها خبره مريحة للعقل وكان قد تصور العقل البشري على هيئة نموذج يتكون من شبكه كبيره من الوحدات المعرفيه النشطة او النقاط الشكليه مترابطة العلاقات. وان الادراك الخاص باحد المثيرات يوافق التنشيط الخاص بالوحدات المعرفية التي تعمل على الترميز المناسب له في المخ, وتنقسم الوحدات المعرفيه الى مجموعة من ادوات التحليل, فالاداة الخاصة بالحس مثلا تقوم تحليل حصيلتها من كل حاسة, وتتجه مخرجات او نواتج ادوات التحليل الحسيه نحو ادوات التحليل الادراكية (11ص212-213)وعلى هذا الاساس تتنامى وتتعقد عمليات الادراك خاصة تلك التي لا تستمد معونتها من الحس وتعتمد على الصور الذهنيه, وفي كل الحالات فان التفكير قائم طالما هناك ادراك ومثيرات , وبوصفه محصله للتفاعل الكلي للانسان مع هذه المثيرات

الفصل الثالث

الاستنتاجات

بعد استقصاء الاراء حول التفكير النقدي والابداعي وطبيعته ,يعرض الباحث نتائج بحثه تحقيقاً لهدف البحث :

- يعد التفكير عملية فاعله ملازمه للناقد والفنان وبمستويات مختلفة,أي انها عمليه لاتتسم بالثبات بل تتغير تبعا للصلة بين المنبه والمثير والاستجابة وما يتصل بادراك الحقائق الظاهرة والباطنة المرتبطة بالشعور واللاشعور ولذا يتفاوت الادراك بين المباشر وغير المباشر ,كما يتفاوت مقدار تداخل الشخصيه في التفكير بفعل ضغط الانفعالات والمجال الوجداني احينا خاصة لدى الفنان .
- يتصف التفكير النقدي بخصائص منطقيه واستخدام القدرات العقليه العليا من تحليل وتركيب وتقويم من خلال القدرات الخمس ممثله بالاستنتاج وتقويم الحجج ومعرفة الافتراضات والاستنباط والتفسير .كما يتضمن ايضا بعض خصائص الشخصيه والميول والاتجاهات, ومنها اتجاهات التساؤل والتقصي ,فضلا عن تميز التفكير النقدي باصطباغه بالشروط الجماليه والحس الجمالي الذي يميزه عن التفكير في باقي التخصصات خاصة في انواع النقد النفسي والانطباعي التي يترك الناقد فيه بصماته الذاتيه.
- اما التفكير الابداعي فيتسم بخصاص اقل منطقية اولا منطقيه احيانا ولا يميل الى استخدام القدرات العقليه من تحليل و تركيب وتقويم , بل يتسم بالتفكير الاني المباشر (الحدس) المستمد من التراكم الخبري للصور الذهنيه المستلهمه للمستويين الشعوري واللاشعوري .وهذا لايعني ان التفكير الابداعي يجري باللاشعور ,بل هو فعل شعوري واع , وان التفكير اللاشعوري لايتحقق كفعل ابداعي الا بمروره بالشعور .وان تعبير الفنان له تفرده وخصوصيته وتكامله الخاص وانه يتسم بالاصالة والصدق بما يجعله لا يعتمد على الافكار التقليديه الخاصة حول التفكير المنطقي بل يرتبط اكثر بالافكار الجديدة الخاصة بالتفكير والابداعي الذي تغذيه المخيلة بشكل فاعل

- لايلغي التفكير النقدي الابداعي الدور الفاعل للخبرة والتجربة والمهارة, حتى عندما يكون التفكير مباشرا حدسيا ,بل تدخل هذه العوامل كمنشط للتفكير في الوصول اى افكار جديدة ومبتكره.
- يتفاوت ويتغير التفكير النقدي والابداعي بفعل المنحى الذاتي او الموضوعي للناقد والفنان, وان التفكير الابداعي يعد بشكل عام هو اكثر تماسا بما هو ذاتي, خاصة عندما يقلل الفنان الجهد على الحواس ويقوي من الصور الذهنيه المجرده. أي حين يبتعد من الفن الواقعي باتجاه التجريد.
- تميل الدراسات والبحوث النفسيه التجريبية الى وصف التفكير النقدي والابداعي بالعقلي او المنطقي, واستبعاد البحث في القوي اللاشعورية والباطنية وهذا ما يتقاطع مع حقيقة الاتجاهات الحديثه في الرسم والتي اسست لها منهجا فكريا يقوم على اساس التقصي الداخلي او رؤية الوجود من الداخل والكشف عما هو روحي واحداث التقاطع مع الواقع كما, استهدف مجمل الدراسات الجانب التربوي والنفسي والذي غالبا ما جرب على التلاميذ وتعليمهم .

مصادر البحث

1- ابو حطب ,فؤاد عبد اللطيف :العلاقة بين التفكير الناقد والتفكير الابتكاري ,مجلة كلية التربيه ,العدد الاول ,19/5

2- ابو حطب ,وسيد احمد عثمان: التفكير ..دراسات نفسيه,مكتبة الانجلو المصرية ,المطبعة الفنيه الحديثه , القاهره ,1972.

3- ابو ريان ,محمد علي :فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميله, ط5,دار الجامعات المصريه الاسكندرية, 1977

4- آرنولد ,ماثيو :مقالات في النقد ترجمة :علي جمال عزت ,الدار المصريه للتاليف والنشر القاهره ,1966.

5- الخولي ,وليم:الموسوعة المختصره في علم النفس والطب العقلي ,دار المعارف بمصر القاهره ,ص1976.

6- روشكا ,الكسندرو :الابداع العام والخاص ,ت: عبد الحي ابو فخرة المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ,الكويت ,1989.

7- سويف ,مصطفى :الاسس النفسيه للابداع الفني,دار المعارف بمصر, القاهره,ب.ت.

8- صالح ,احمد زكي :الاسس الفنيه للتعليم اثانوي,دار النهضة العربية,القاهره,1972.

9- الصراف ,عباس :آفاق النقد التشكيلي ,دار الحرية للطباعة, بغداد,1979.

10- عباس ,رواية عبد المنعم :القيم الجمالية, سلسلة دراسات في الفن والجمال (1),دار العرفه الجامعيه ,الاسكندرية ,1987.

11- عبد الحميد ,شاكر :التفضيل الجمالي ,دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ,المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ,الكويت ,1999.

12- عبد الحميد ,شاكر :العمليه الابداعية في فن التصوير ,المجلس الوطني للثقافة والفنون, والاداب ,الكويت ,1987.

13- الغريب, رمزيه :التعليم ..دراسة نفسيه ..تفسيريه..توجيهيه ,ط6,مكتبة الانجلو المصريه ,1978.

14- محمود ,ابراهيم وجيه:التعليم ,القاهره,علام الكتب ,1971.

15- محمود ,ابراهيم وجيه:دراسة تجريبية للعوامل المساهمه في تحسين التفكير الناقد,رسالة الدكتوراه غير منشوره ,كلية التربيه ,جامعة عين شمس,1966.

16- محمود ,ابراهيم وجيه :القدرات العقليه..خصائصها..كيانها,ط1,مكتبة الانجلو المصريه ,طباعة الشركه المتحدة للنشر والتوزيع ,القاهره,1977.

17- محمود,امان احمد:دراسة العلاقه بين القدره التفكير ومستوى التطلع ومفهوم الذات لدى طلاب الدراسات العليا بالجامعة, دراسات تربويه ,المجلد الرابع ,ج15,1988.

18- نظمي ,محمد عزيز:الإبداع في علم الجمال ,دار المعارف القاهره,1978.

19- وهبه,مراد ,واخرون: المعجم الفلسفي ,دار الثقافة الجديدة,القاهره ط2,1971 .

20- وهبه,مراد:المذهب عند كانت ,مكتبه الانجلو المصريه,القاهره,1974.

21-AL-Katib,A.A.,Performance Criteria For Teacher Developing critical Thinking in pupils. Unpolished Doctoral Dissertation .Teachers college .Columbia University 1972.

22- Aschnar . M.J." Teaching the Anatomy of criticism" in NEA Journal .vol.50 ,no . 6.1961.

23- Creatz , R.G .and K.L Gezi . Developing critical thinking in the current event class .The Journal of Educate Research . vol .58 . No.8. ,April ,1965.

24- Dressil . P . L . and Associates . Evaluation in Higher Education . Cambridge :Massach usettes, Houghton Miffilin co ..1961.

25- Feely .Jr , :critical thinking :toward Detiuition paradigms .Theory and research in social education . vol .lv ,No.1.1976.

26- McPeck , J.E. Critical thinking and Education .Oxford . Martin Robertson,1981.

27-Skinner .B.The myth of teaching for cirtical thinking in Education and Psychology . Ohio Abell and Howell ,Co,1971.

28- Watson ,G.B. and glasser ,E.H.Watson Glasser cirtical thinking Appraisal . New York: World book Co. 1964.

29- Wood ,H.B. test of cirtical thinking CurrculumBulletin . No .99,1951.v .